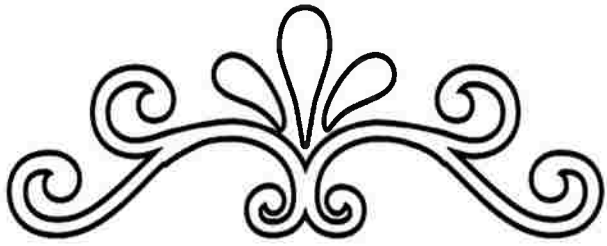

الباب العاشر

الليبراليَّة

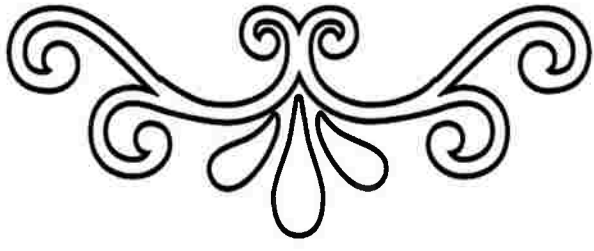

▫ الليبراليَّة:

• يقول **د. حسن يوسف الشريف** موضِّحًا أهداف صانعي القرار في الإدارة الأمريكيَّة: «يجب نقل المعركة الفكريَّة إلى قلب العالم العربيِّ الإسلاميِّ بتكوين شبكات تحمل اسم الإسلام المعتدل تضمُّ المسلمين الليبراليِّين العَلمانيِّين الذين يوصي التقرير بمنحهم الأولويَّة، وتقديم الدعم الكامل لهم لصدِّ المقاومة للمشروع الأمريكيِّ بالمنطقة»(١).

• والعَجَبُ العُجَاب أنَّ دُعَاة الليبراليَّة في عالمنا العربيِّ والإسلاميِّ يمارِسون نوعًا مِنَ الإرهاب الفكريِّ على مَنْ عداهم بادِّعاء بعضهم «أنَّ مَنْ يناهض الليبراليَّة فهو بالضرورة مع دعاة الاستبداد وكَبْت الحريَّة وقهر الفرد»(٢).

• كلمة «**الليبراليَّة**» أعجميَّة ليست عربيَّة، وهي تعني في الإنجليزيَّة «**التحرريَّة**»، ومعناها «**الحريَّة**»(٣).

• أول مَنْ ترجم هذه الكلمة إلى العربيَّة هو: رفاعة الطهطاوي حيث ترجم «**ليبراليَّة**» إلى «**حريَّة**»، والليبراليُّ: «**حريّ**»، وجمعها «**حريّون**».

فهي فكرة مستورَدة بقيت ترتدي لباسها الغربيَّ، ولا تنتمي إلى إسلامنا أو عروبتنا.

• كثير مِنَ الغرب ما زال يرى أنَّ الليبراليَّة كلمة غامضة، ومصطلح عريض بلا هويَّة، ومُبْهَم، يسمُّونه «مصطلح مائيٌّ».

والذي شاع في بلادنا مفهوم التحرُّر مِنْ تدخل الدولة في تصرُّفات الأفراد في سلوكهم الشخصيِّ، ونشاطهم التجاريِّ.

---

(١) مقالة: «حرب الأفكار الأمريكيَّة والأمن العربيِّ» جريدة المصريون بتاريخ ١٤/ ١١/ ٢٠٠٨.

(٢) د. الطيب بوعزّة نافذة المعرفة - موقع الجزيرة بتاريخ ١٤/ ٩/ ٢٠٠٦م تحت عنوان: «هل حقًّا لا بديل عن الليبراليَّة ؟!».

(٣) المعجم الفلسفي (١/ ٤٦١).

• وفي موسوعة المورد العربيِّ: تُعَرَّف الليبراليَّة أنها: «معارضة المؤسَّسات السياسيَّة والدِّينيَّة التي تحدُّ مِنَ الحريَّة الفرديَّة»[١].

وتعرِّفها موسوعات أخرى بأنها تهدف لتحرير الإنسان فردًا وجماعة من القيود الأربعة (السياسيَّة، والدِّينيَّة، والاقتصاديَّة، والثقافيَّة)، وتهدف إلى نظام سياسيٍّ مبنيٍّ على فصل الدِّين عن الدولة، وإقامة نظام تعدُّديٍّ حزبيٍّ ونقابيٍّ مِنْ خلال نظام برلمانيٍّ ديمقراطيٍّ[٢].

• وهي عند كثير مِنَ المفكِّرين الغَربيِّين: الحريَّة الحقيقيَّة في أن نطبق القوانين التي اشترعناها نحن لأنفسنا، وغياب العوائق الخارجيَّة التي تحدُّ مِنْ قدرة الإنسان على أنْ يفعل ما يشاء.

فهي مذهب متعدِّد الأشكال، قائم على تحرير الإنسان مِنْ سلطة الله وشرعه وتنزيله، ويستحيل أنْ توجد ليبراليَّة إلَّا في ظلِّ الديمقراطيَّة، فهما نِتَاج فلسفة فكريَّة واحدة.

• وهناك ليبراليَّة كلاسيكيَّة، وأخرى فلسفيَّة مذهبها: المنفعة وتحقيق اللَّذة والمصلحة الذاتيَّة الخاصة، وهناك ليبراليَّة فكريَّة تشمل التعدديَّة والحريَّة الفكريَّة، والعجب أن هناك ليبراليَّة دينيَّة تهدف إلى أنَّ للمرءِ أنْ يعتقد ما يشاء مِنْ أمور الغيب، يتَّخذ آلهة كما يشاء، ويعبدها كما يشاء.

(يعني يريدون العودة بنا إلى عهد ما قبل الإسلام، مِنْ عبادة الأوثان والأصنام والشيطان والأهواء).

• ولقد تبنَّت الولايات المتحدة مفاهيم الليبراليَّة، وعدَّتها جزءًا مِنْ حربها العالميَّة على الإسلام، بهدف تشجيع الرِّدَّة عن الأديان.

• وتقوم مبادئ الليبراليَّة على العداء للدِّينِ والتراث والتاريخ الماضي للأمَّةِ، كما ترى

---

(١) موسوعة المورد العربيَّة، لمنير بعلبكي (١٠٥٠/ ٢).
(٢) الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب (٢/ ١١٣٥).

عدمَ الحرج مِنَ الاستعانة بالقوى الخارجيَّة الاستعماريَّة لدحر النُّظُم غير المواتية والملائمة لهم، فلا مانع أنْ يأتي الإصلاح مِنَ الخارج ولو على ظهر دبابة بريطانيَّة، أو بارجة أمريكيَّة، أو غواصة فرنسيَّة.

• يقول **الأستاذ هاني السباعي**: «إنَّ الليبراليَّة نبات غربيٌّ تم تسريبه وغَرْسه والتبشير به في مصر عبر جملة مِنَ الطلَّاب المصريِّين الذين تمَّ إرسالهم في بعثة علميَّة إلى فرنسا سنة ١٨٢٦م، بلغ عددهم (٣١٩) طالبًا، يقودهم رفاعة رافع الطهطاوي الذي ألَّف كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)»[١].

• ولقد نفَذَت وتسلَّلت الليبراليَّة إلى مصر والعالم العربيِّ قبل ذلك عبر الحملة النابليونيَّة على مصر سنة ١٧٩٨م، وكانت بداية ظهور النموذج الغربي بدلًا مِنَ النموذج الإسلاميِّ، والوطنيَّة المحليَّة بدلًا مِنَ الخلافة والجامعة الإسلاميَّة.

ويكفي الإشارة إلى بشاعة المجازر والجرائم الوحشيَّة التي ارتكبها الفرنسيُّون في مصر، والذين زعموا أنهم قد جاءوا لتنويرها وتحريرها!!

ثم جاء الإحتلال الإنجليزيُّ لمصر سنة ١٨٨٢م، فقامت مؤسَّسات فكريَّة تخدم وترعى مصالح سلطة الاحتلال بقيادة **اللورد كرومر** فانتشر الخبراء الأجانب، وكثُرت البعثات العلميَّة.

• يقول **د. سلطان القحطاني**: «هذه البعثات التي ذهبت مِنَ الشرق إلى الغرب لطلب العلم والتقُّدم، فعاد الكثير منها بالعَلمانيَّة لا بالعلم، ذهبوا لدراسة الفيزياء، والكيمياء، والأحياء والجيولوجيا والفَلَك والرياضيَّات والطبِّ، فعادوا بالأدب واللغات والعلوم الاجتماعيَّة، بل دراسة الأديان في الجامعات الغربيَّة، فكان لعودة هؤلاء دور مُهِمٌّ في ظهور التيار العَلمانيِّ الليبراليِّ، متأثِّرين بما درسوه ولمسوه»[٢].

---

(١) دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهويَّة المصريَّة «موقع بوابتي».

(٢) كتاب: «التيارات الفكريَّة وإشكاليَّة المصطلح النقدي»، ص (٧٣).

• ويقول **د. السيد أحمد فرج**: «فقد شهدت المجتمعات الإسلاميَّة أعنف موجة ثقافيَّة تعمل للانسلاخ الكامل عن الإسلام، تزعَّمها المثقَّفون المتفرنجون الذين تربَّوا تربية أوروبيَّة، وتثقَّفوا بالثقافة الغربيَّة في معاهد الفكر الإنجليزيِّ والفرنسيِّ»[١].

• ثم ظهرت الترجمة ومراكزها لتعليم اللغات ونشر ثقافة الغرب ولغته، وتقبَّل الناس باقتناع الهزيمة النفسيَّة، حتى تغلغلت في جذور الضمير، ونسخت الأفئدة عن هُوِيَّتِها ولغتها، حتى وجدنا أفرادًا مِنَ الأمَّة المسلمة تنادي بكتابة الأرقام والحروف العربيَّة بالأرقام والحروف اللاتينيَّة، وتُرجِمت الآداب والفنون وكتب الأدب بدلًا من ترجمة العلوم التجريبيَّة وعلوم التكنولوجيا، فأحدثت تبديلًا في عقول كثير مِنَ المسلمين، ومهَّدت لكثير مِنَ الأفكار في الثقافة والسياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعيَّة.

ثم انتشرت وسائل الإعلام التي وظَّفها المستعمرون، وبسطوا عليها حمايتهم، وبذلوا لها الدعم اللازم.

• يقول **جلال أمين**: «إنَّ المعلومات التي تبثُّها وسائل الإعلام تصل «ملغَّمة» أي محمَّلة بالألغام إلى القرَّاء»[٢].

وتم التسويق للمفاهيم الليبراليَّة والتبشير بها مِنْ خلال وسائل الإعلام (طباعة، صحافة، قنوات فضائيَّة).

• وتسلَّل الفِكْر الليبراليُّ عبر قنوات عديدة منها: الشخصيَّات أمثال رفاعة الطهطاوي، وأحمد لطفي السيد، وأنيس منصور، وبطرس غالي، وجمال البنا، وسيد القمني، وفرج فودة، وعلاء الأسواني، وعماد الدِّين أديب، وعمرو أديب، وسعيد النجار، ومحمد البرادعي، والسيد البدوي، ويحيي الجمل، وغيرهم»[٣].

---

(١) «جذور العَلمانيَّة»، ص (٧١).

(٢) كتاب: «نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر»، ص (٣٩).

(٣) «الموسوعة الإلكترونيَّة ويكيبديا».

عمل هؤلاء الأشخاص على إثبات الشبه بين مبادئ الإسلام ومبادئ الغرب وتغيير صورة الإسلام في عيون الغَربيِّين، ولقد غاب عنهم قول **اللورد كرومر**: «إن إسلامًا تجري عليه عمليَّة الإصلاح لا يعود بعد ذلك إسلامًا، وأنَّ كل مَنْ يحاول باسم الإصلاح أنْ يفسِّر الإسلام تفسيرًا يجعله أقرب إلى مبادئ الأوروبيِّين إنما يتخلَّى في الحقيقة عن الإسلام» (١).

• لقد قامت دعوتهم على مرتكزات منها: العمل على هدم السُّنَّة النَّبويَّة، والتحايل على الشريعة وأدلّتها، ونسف الثوابت الشرعيَّة، ونفي أنْ يكون الإسلام دينًا ودولة، وتقديم الهوى والعقل على النصوص الشرعيَّة، وحريَّة الفِكْر.

ومعظم أفكارهم مستقاة ومنقولة مِنْ تقرير **شيرلي برنار** الباحث بلجنة الأمن القومي بمؤسَّسة راند الأمريكيَّة عن الإسلام المدنيِّ الديمقراطيِّ سنة ٢٠٠٣م(٢).

• ولقد لعبت الأحزاب السياسيَّة دورًا فعَّالًا ومؤثِّرًا في نشر الأفكار والمفاهيم الليبراليَّة.. فقد نشأت الأحزاب سنة ١٩٠٧م: فتكوَّن الحزب الوطنيُّ، ثم حزب الأمَّة (صناعة إنجليزيَّة)، والذي دعا إلى إحياء الفرعونيَّة وتعظيم تراثها، ودعا إلى العاميَّة، وأنَّ تَعلُّم العربيِّة لا مبرِّر له، وهاجم الوحدة الإسلاميِّة.

وبرز عهد كبار المُلَّاك والإقطاعيين، ثم كان حزب الوفد الكيان الجامع لتيار الليبراليَّة سنة ١٩١٩م، ثم حزب الأحرار الدستوريِّين سنة ١٩٢٢م، وحزبُ الغَدِ الليبراليُّ سنة ٢٠٠٤، وحزب الجبهة الديمقراطيَّة سنة ٢٠٠٧.

• وبجانب الأحزاب لعبت منظمات المجتمع المدنيِّ دورًا كبيرًا في تدعيم الليبراليَّة في المجتمع المصريِّ وذلك عبر النقابات، والغرف التجاريَّة، والنوادي الرياضيَّة، والجمعِيَّات الأهليَّة والإنجيليَّة، وجمعِيَّات حقوق الإنسان، ومراكز الأبحاث ذات

---

(١) كتاب: «عصر التشهير بالعرب والمسلمين» د. جلال أمين، ص (١٣٢).

(٢) راجع كتاب: «الإسلام الليبرالي» للكاتب محمد إبراهيم مبروك الورَّاقي.

التمويل الأجنبيِّ، ومن هذه الجمعِيَّات جمعيَّة النِّداء الجديد، واتحادُ الشباب الليبراليِّ المصريِّ، واتحاد المحامين الليبراليِّين.

• كما لعبت المنابر الإعلاميَّة والمواقع الإليكترونيَّة والصحف في عمل تجمعات ليبراليَّة حديثة مثل: جريدة نهضة مصر وشعارها: «**الليبراليَّة طريقنا نحو المستقبل**»، وجريدة المصري اليوم، وقناة التنوير الفضائيَّة، وقناة **ONTV** ، وقناة الفراعين، وموقع الحوار المتمدِّن وشعاره: «**الحوار المتمدِّن مكة العلمانيِّين**» كما أطلق عليه بعض كُتَّابه كما جاء منشورًا على صفحات الموقع، وموقع إيلاف وهو أول جريدة يوميَّة إلكترونيَّة صدرت في لندن سنة ٢٠٠١م على يد الصحفي السعودي عثمان العمير - رئيس تحرير جريدة الشرق الأوسط سابقًا - تُعْنَى بنشر الفكر الليبراليِّ ومقالات الليبراليَّة واليساريِّين والعَلمانيِّين، وكذلك شبكة العَلمانيِّين العرب تحت نافذة: «**مَنْ نحن؟**».

❁❁❁

▫ مبادئ الفكر الليبرالي:

العجيب أنَّ الفكر الليبراليَّ العربيَّ ليس فيه إبداع، إنما هو تقليد كتقليد القِرَدَةِ، ولا يعدو عن كونه مجرَّد نقل للأفكار الغربيَّة، واستنساخها بعَبَلِها ورَوَثِها.

يقول **د. عبد الله البريدي:** «قلَّما يصرِّح الليبراليُّون أنَّ العقل العربيَّ ما يزال غير قادر على الإبداع الفكريِّ والعلميِّ، مما يجعلهم يؤمنون بوظيفة النقل الجيِّد للأفكار، والتطبيق المتقن لتلك الأفكار»(١).

ويقول **الأستاذ مجدي خليل:** «مفاهيم الليبراليَّة والديمقراطيَّة والإصلاح والتنوير والمجتمع المدني، كلها مفاهيم غربيَّة منتجة أصلًا في الغرب، فالعرب لقرون طويلة لا ينتجون أيَّ فِكْر إيجابيٍّ ذا قيمة»(٢).

• والليبراليَّة تقوم على مبدأ: فصل الدِّين عن الدولة، وسيادة العقل، وحريَّة الفرد، يعني أنها قامت على ثلاثة مفاهيم هي: العقلانيَّة، والعَلمانيَّة، والفرديَّة.

فالحريَّة والعدالة، وحقوق الإنسان، والتَّسامُح، والتعدديَّة الفكريَّة هي شعاراتهم التي يختفون وراءَها.

لذلك فهم يطالِبون بإغلاق جميع مدارس التعليم الدِّيني - يعني دعوة للإلحاد -، حتى يتم القضاء على الفوضويَّة والعشوائيَّة التي من أهم معالمها: تسيِيس الدِّين، وتديين السياسة، هكذا يطالبون، وجعل العلم بديلًا لذلك.

• وعندما نستعرض هذه الأفكار وتلك المبادئ، لا يسعنا إلَّا أن نقول: الحمد لله الذي عافانا وأذهب عنا الأذى، الحمد لله الذي حفظ عقولنا مِنَ المسخ والتيه والضلال.

❁❁❁

(١) كتاب: «السلفيَّة والليبراليَّة»، ص (١٣١).
(٢) «الليبراليَّة العربيَّة الجديدة» (محرك البحث جوجل ٥/ ٥/ ٢٠٠٦م).

أولا: الحريَّة الفرديَّة:

نتساءل هل أنتم أيها الليبراليُّون ملحدون أم مسلمون؟ فإذا كنتم الأُولى فلا كلام معكم حتى تؤمنوا بالله وحده، وتكفروا بما سواه.

أمَّا إذا كنتم مسلمين فنقول لكم: **هل خلق الله ﷻ الإنسان عبدًا أم حُرًّا ؟**

وقد قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم]، والإنسان أمام خيارين لا ثالث لهما: إمَّا أن يكون عبدًا لله ﷻ، فيدخل في نطاق قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]. وإمَّا أنْ يكون عبدًا لهواه، وعندها سيكون إمَّا عبدًا للشيطان أو للمال أو للمرأة أو للملبس أو للشهوات أو للسادة والكبراء، فهو عبد رغم أنفه، رضِيَ أم أبَى.

لقد أعطى الله ﷻ العبد قدرًا من حريَّة التصرُّف في حدود عقله، لكنه لا يملك لنفسه سعادةً أو شقاءً، أو مرضًا أو شفاءً، أو حياةً أو موتًا، ولا يملك لنفسه رزقًا، ولا يملك الانتفاع به إلَّا بأمر الله تعالى وقدَرِه.

إنَّ قدْرَ حريَّة التصرُّف التي سمح الله تعالى بها له، تقع تحت طائلة المحاسبة، والمرء في هذه الدنيا إمَّا أنْ يخضع لقدَرِ الله الكونيِّ، وإمَّا أنْ يخضع لقدر الله الشرعيِّ، ولا ثالث لهما.

• والحريَّة تعني: أنْ تفعل ما تشاء وما تشتهي، وهذا لا يكون على وجه الحقيقة إلَّا لأهل الجنة في الآخرة. قال تعالى: ﴿لَهُم فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [النحل:٣١]، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١]. نسأل الله تعالى أنْ نكون مِنْ أهلها (آمين).

• ولكي يكون الإنسان حُرًّا لا بُدَّ من شروط منها:

١- أنْ يكون عاقلًا؛ فلا حريَّة لسكران أو صغير أو مجنون لذهاب الوعي والإدراك (العقل) عنهم.

٢- أنْ يكون مكلَّفًا؛ فغير المكلَّف ليس له حريَّة، فالأب مكلَّف بتربية الأولاد فله

حريَّة الاختيار، إنْ أحسن أو أساء، ومدير الشركة مسئولٌ عنها فهو كذلك، إن شاء حافظ عليها أو أهملها، ورئيس الدولة مكلَّفٌ لأنه المسئول؛ إنْ شاء أقام العدل، وإنْ شاء اسْتَبَدَّ وظلم.

٣- ما دام الإنسان مكلَّفًا؛ فلا بُدَّ له مِنْ حساب وجزاء، وثواب وعقاب، فكل مكلَّف يجب محاسبته في الدنيا والآخرة على ما تمَّ تكليفُه به.

وهذه الشروط الثلاثة الأولى لا تتحقَّق إلَّا في ظل عبوديَّة صادقة لله تعالى، واعتراف له بحق الملك والخلق والأمر والحكم، لذلك خلق الله ﷻ الإنسان عاقلًا مكلَّفًا بتحمُّل الأمانة، وأحكم قدره فيه يُعاقبه في الدُّنيا والآخرة، يعفو ويصفح ويغفر أحيانًا كثيرة، ويجازي بالسيِّئة مثلها، ويعاقب عليها أحيانًا أخرى.

٤- لا يكون الإنسان حُرًّا إلَّا إذا امتلك أمره وقدره، والأمر كله لله، وكل شيء عنده بمقدار، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، وهو على كل شيء قدير، ولا يسأل عما يفعل، فهو حقٌّ مطلقٌ له سبحانه.

٥- أن حريَّة الفرد مقيَّدة بـ:

- حريَّة الآخرين.
- العادات والتقاليد والقِيَم والأعراف في المجتمع.
- القوانين السائدة والأحكام في البلاد.
- سقوط الولاية عنه: فلا يكونَ الابن حرًّا في ولاية والديه، ولا تكون الزوجة حُرَّة في ولاية زوجها، ولا يكون الموظَّف حرًّا في ولاية مديره ورئيسه، ولا يكون الجندي حرًّا في ولاية قائده، وهكذا.
- ولا يكون الإنسان حرًّا عند الكوارث والأمراض والحروب والعوارض، فمتى ينال الإنسان مِنْ هذه الحريَّة المزعومة؟!

٦- وكيف يَزْعُم الإنسان أنَّ له حريَّة، والله ﷻ أحلَّ له حلالًا، وحرَّم عليه حرامًا،

وحدَّ له حدودًا، وطالبه ألَّا يتعدَّاها حتى لا يظلم نفسه.

٧- وكيف للفرد حريَّة، ومصالح الأفراد بطبيعتها متضاربة متناقضة، ورغباتهم وشهواتهم وتطلُّعاتهم للأمور متباينة ومتناقضة ومتشابكة ومختلفة ؟!

• والحريَّة عند الليبراليَّة تدور حول القدرة على اتخاذ قرار بعينه، أو إتيان فعل أو الامتناع عنه، أو أنْ يفعل ما ينبغي دون عائق، وهذه قد تعني حريَّة الغريزة الحيوانيَّة وليست حريَّة الإرادة الإنسانيَّة.

• إنَّ أيَّ مجتمع يشيع فيه هذا المبدأ الليبراليُّ، وذلك المفهوم عن الحريَّة هو نذير شؤم على هذا المجتمع، ومؤذِن بخرابه لا محالة، لأنَّ مصالح الأفراد بطبيعتها متضاربة متناقضة تبعًا لاختلاف شهواتهم ورغباتهم وتطلعاتهم ونظرتهم الذاتيَّة للأمور، ولا بُدَّ مِنْ رأس يجتمعون عليه، ومرجعيَّة تضبط هذه المصالح وتوفِّق بينها.

يقول **د. محمود الصاوي:** «هل استوقف نظرك في يوم مِنَ الأيام صور ناطحات السَّحاب مثلًا في «نيويورك»، وعلى بعد أمتار منها صناديق القمامة التي يعيش فيها بعض البَشَرِ مِنَ الأمريكيِّين، يقتاتون على بقايا الأطعمة الموجودة في هذه الصناديق! بل ويتَّخذونها سكنًا دائمًا لهم!.

بل لو تجوَّلت داخل بعض أحياء الزنوج في بعض المدن الأمريكيَّة لهالك حجمُ الفقر وحالة البؤس التي تسيطر على هؤلاء المواطنين!

بل إنَّ شعور الجياع في أمريكا بالجوع أكثر مِنَ الشعور بالجوع في أي بلد آخر لعدة أسباب منها: أنَّ فلسفة المجتمع كلها تقوم على أنَّ المسئول عن الفقر هو الفقير نفسه، فلا المجتمع مسئول، ولا الدولة مسئولة، أليس هذا من نتائج تلك الحريَّة الفرديَّة المطلقة التي تغلِّب مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع، وتخلق روح الأنانيَّة في المجتمع»[1].

---

(١) «الفكر الليبرالي تحت المجهر»، ص (١٧٣- ١٧٤)، نقلًا عن د. جلال أمين وكتابه: «عصر التشهير بالعرب والمسلمين»، ص (٤٤).

ثم يقول **د. محمود الصاوي**: «انظر إلى أوضاع المسلمين في أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر، وحجم التمييز القائم ضدَّهم بانتهاك حريَّاتهم الفرديَّة عَبْرَ التجسُّس عليهم بمراقبة الهواتف والبريد، وتفتيش بيوتهم دون أذون قضائيَّة، ومنعهم من السفر لمجرَّد الاشتباه دون غيرهم مِنَ النصارى، وانظر إلى سكوت المجتمع الدوليِّ على جرائم الاحتلال الصهيونيِّ لفلسطين ؟!

ألم يَرَ مصدِّرو الليبراليَّة أو مستوردوها في ذلك انتهاكًا للحريَّة الفرديَّة والدِّينيَّة والمبادئ العالميَّة لحقوق الإنسان؟!

إنَّ الحريَّة لا تَعني حقَّ الإنسان في أن يتحوَّل حيوانًا إذا شاء، أو يقترف من الأعمال ما يُوهِي صلتَه بالسماء، ويقوِّي صلتَه بالتراب، إنك لن تجد أعبد ولا أخنع مِنْ رجل يدَّعي الحريَّة، فإذا فتشت عنه وجدته ذليلًا لشهواته كلِّها، ربما كان عبدًا لبطنه أو لامرأة يسعى لقضاء وطره منها، وربما كانَ عبدًا لَمظاهِرَ يرائي بها الناس، فإن الحريَّة المطلقة لا تنتج إلَّا مِنَ العبوديَّة الصحيحة لله ﷻ»[1].

• إنها ليبراليَّة مصالح وأطماع وأهواء، وما حريَّة الفرد فيها إلَّا نوع مِنَ الدعايَّة الكاذبة، انظر ما فعلته فرنسا مع المفكِّر «**روجيه جارودي**» حين عبَّر عن رأيه، وشكَّك في الأرقام التي ادَّعت العصابات الصهيونيَّة أنها أُحْرِقَت في المَحْرَقة اليهوديَّة (**الهولوكست**)، فَمُنِعَ من حقِّ التعبير، وتمَّت محاكمته.

• لقد أدَّت هذه الحريَّة الفرديَّة المزعومة إلى شيوع اغتصاب النساء في أوروبا وأمريكا، وامتلأت الشوارع والملاجئ باللُّقَطاء وأطفال الشوارع والمشرَّدين الذين تشيَّد على أيديهم عوالم الجريمة والعُنف والإرهاب، فهل رأيتم مبدءًا أفسد لمجتمع مِنْ هذا المبدأ ؟!

• إنَّ الأحكام في الإسلام وشريعته الغرَّاء تميَّزت بأنها لا تعمل لمصلحة الجماعة على حساب الفرد، ولا لمصلحة الفرد على حساب الجماعة، إنها علاقة تكامليَّة تعاونيَّة بين

---

(١) المصدر السابق، ص (١٧٤).

الفرد والجماعة. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

• يقول **د. عبد الستار قاسم:** «الإسلام يحافظ على شخصيَّة الإنسان، ويحترم خصوصيَّته وطموحاته في التقدُّم والإنجاز، وعلى الجماعة فلا يطغى عليها الفرد ويسخِّرها لصالحه، أمَّا المنطلق الديمقراطيُّ فيميِّز الفرد ويفضِّله، والمنطلق الشيوعيُّ لا يميِّز الشخص ولا يفضِّله»(١).

فكل الحقوق الإنسانيَّة -فرديَّة أو جماعيَّة- مَصونة في الإسلام، وفق ضوابط وقواعد أخلاقيَّة، وأحكام شرعيَّة تحول دون تفلُّتِها.

فعلى سبيل المثال: أنت حُرٌّ في أن تعمل في التجارة وتنجز ما تشاء، لكن ضمن دائرة الحلال، فلا تجارة في الخمور والقِمار والرِّبا، ولا غشَّ ولا احتكارَ، وهذه القواعد جاءت لتحمي الحريات الفرديَّة أولًا، وحتى لا تتحوَّل إلى فوضَى ثانيًا.

وليس في الإسلام حريَّة لإنشاء دور الدعارة والزِّنا، أو فتح قنوات فضائيَّة تعلِّم الجنس والرَّذيلة والشذوذ، وتشيع الفاحشة في الذين آمنوا. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].

• «**لا ضَرَرَ ولا ضِرَار**»(٢): كما أخبر النَّبيُّ الأمين محمد ﷺ، وهي قاعدة تحمي مكتسبات الناس وحريَّاتهم، وتحقِّق مصالح الشرع التي هي مصالح العباد.

❁ ❁ ❁

(١) «التصور الإسلاميِّ بين الفرديَّة والجماعيَّة» موقع إسلام أون لاين (١/ ٨/ ٢٠٠١م).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٧٤٥) عن عمرو بن يحيي المازني، عن أبيه ﷺ، وأخرجه أحمد (٣٧/ ٤٣٨) وابن ماجه، ك: «الأحكام»، ب: «من بنى في حقه يضر جاره» من حديث عبادة بن الصَّامت ﷺ. وحسَّنه الألباني ﷺ في مجموع طرقه في «الإرواء» (٣/ ٤٠٨).

ثانيًا: التعدديّة في الفِكْر الليبرالي:

فهل يقبل الإسلامُ الشَّواذَّ وأصحاب فاحشة قوم لوط والسِّحاقيَّات، وهل نقبل عَبَدَة الشيطان، ونقبل الفوضى في مجتمعاتنا الإسلاميّة التي ينبغي أن تتميَّز بالطُّهر والطهارة والعِفَّة والعَفَاف ؟!

• ألم تطالب فرنسا بطرد ثلاثة ملايين مغربيٍّ مسلم، أو إرغامهم على ترك دينهم ولغتهم والذوبان في الجنسيَّة الفرنسيَّة؟!»[١].

• هل نسينا عمليات التطهير العِرْقِيِّ التي اقترفتها أوروبا في البوسنة في الحرب الشهيرة مِنْ عام ١٩٩٢ حتى عام ١٩٩٥م، وراح ضحيَّتها أكثر من (١٠٠) ألف قتيل، وشرِّد الآلاف من المسلمين.

• ألم يقل **مانياس كارلسون** أحد قادة حزب الديمقراطيِّين السويديِّين: «أوقفوا المجتمع متعدِّد الثقافات حفاظًا على استقلال السويد؟!»[٢].

• مَنْ الذي أطلق النار على الصيدلانيَّة المصريَّة المحجَّبة **مروة الشربيني** في قاعة إحدى المحاكم في ألمانيا على مرأى ومَسْمَع مِنَ القضاة والمحامين والشهود، لا لشيء إلَّا لأنها محجَّبة؟! **هل هذه هي التعدديّة وقبول الآخر في المجتمعات الليبراليّة؟!**

❁❁❁

ثالثًا: الرؤيّة الليبراليّة للمجتمع المدني:

المجتمع المدنيُّ هو جوهر الليبراليَّة أو نواة الليبراليَّة الحيَّة، ويُعَرَّف المجتمع المدنيُّ بأنه: «المجتمع الذي يستقِلُّ في تنظيم حياته المدنيَّة والاجتماعيَّة عن أي فروض، أو قيود، بل يستند إلى نظم العقل البشريِّ، -كما تنادي العَلمانيَّة-، فالمجتمع المدنيُّ يقوم على فكرة ضمان الحقوق والمصالح للأفراد على أساس العقل البشريِّ والقانون الوظيفيِّ، لا على

(١) الفِكر الليبرالي تحت المجهر، ص (١٩٢)، د. محمود الصاوي.
(٢) في لقاء معه على قناة On Tv. مع يسري فودة.

أساس الوحي الرَّبَّانيِّ والتشريع الإلهيِّ المحكَم».

يقول **د. محيي الدِّين اللاذقاني:** «المجتمع المدنيُّ مصطلح غربيُّ النشأة، مرتبط بالفكر والخبرة الغربيَّة منذ نشأتهم.

ولفظة «مدنيّ» منافس ومضادٌّ للدِّينِ، فهو يصف مصطلح «**المدنيَّة**» بالرؤية العَلمانيَّة، وذلك مقابل الدِّينيَّة .. تتداخل فيه مفاهيم متقاربة من قبيل الديمقراطيَّة والمواطنة والليبراليَّة السياسيَّة المرتبطة بفكرة المجتمع المدنيِّ»[١].

• **والسؤال هو: قبل نشأة هذا المصطلح «الدولة المدنيَّة»، ما البديل الذي كان يحكم هذه الدولة الغربيَّة في ذلك الزمان، مقارنة بما كانت عليه الدولة الإسلاميَّة؟!**

• و«التاريخ يحكم أنَّ فكرة (المجتمع المدنيِّ) في التاريخ الأوروبيِّ الحديث قد تطوَّرت بصفتها فِكْرة عَلمانيَّة لتمثِّل بديلًا لهيمنة الدِّين على المجتمع مِنْ جهة، وبديلًا عن سلطة الدولة مِنْ جهة ثانية، وبديلًا عن قوامة الأسرة مِنْ جهة ثالثة، ولهذا اقترنت تلك الفكرة بمبدأ التحول نحو الليبراليَّة السياسيَّة والدِّينيَّة والاجتماعيَّة»[٢].

• وثمة سؤال آخر: **هل يوجد في الإسلام وتعاليمه ونُظُمه وشرائعه ما يجعلنا نستعديه ونستبدل الذي هو أدنى به، وماذا في مفاهيم هذه المدنيَّة إن كان صحيحًا وصوابه لا يتفق مع الإسلام؟!**

ولماذا يَعتبر الليبراليُّون العرب أن الدِّين الإسلاميّ هو أحد العوائق الأساسيَّة في قيام المجتمع المدني؟! أليست هذه دعوة إلى الإلحاد والإنحلال، ومعاداة الأغلبيَّة المسلمة؟!

تأمَّل قول الأُمِّيَّة -حسب المدلول الشرعي لها- عند **فهيمة شرف الدِّين:** «المنظومة التربويَّة المتكاملة بدءًا مِنَ الأسرة، وتنتهي في شبكة العلاقات السياسيَّة؛ أي: تلك

---

(١) مصطلحات ثقافيَّة للدكتور محيي الدِّين اللاذقاني، نقلًا عن كتاب: «الفكر الليبرالي تحت المجهر»، ص (٢١٣).

(٢) المصدر السابق، ص (٢١٤).

العلاقة ما بين «**ربِّ البيت**»، و«**ربِّ الوطن**»، و«**رَبِّ العالمين**» يجمع بينهما جميعًا مفهوم الطاعة الذي ينتج التبعيَّة والولاء، وعندما تكون الطاعة هي القيمة الأولى في المجتمع تنتفي الإرادة وينحسر الاختيار الحُرُّ» [(١)].

إذا لم يكن هذا الكلام هو «**كلام الرويبضة**» التي أخبر عنه النّبيُّ ﷺ آخر الزمان، وإذا لم يكن هذا الكلام دعوة صريحة للإلحاد والكُفْر. فماذا نقول فيه؟!

• وهكذا يرتبط المفهوم الليبراليُّ بضرورة فصل الدِّين عن الحياة والمجتمع.

• ويقول **كمال حبيب**: «خاض العلمانيُّون العرب معاركهم الفكريَّة والسياسيَّة ضدَّ حريَّة الإنسان المسلم في الاختيار والانتصار لدينه، وجعل العلمانيُّون أنفسهم أوصياء على الناس، فهم مَنْ يملكون الحقيقة، والجماهير لا تعرف مصلحتها»[(٢)].

• هل لا بُدّ لنا مِن إقامة المجتمع المدني على غرار مبادئ وقيم المجتمع الغربي؟! أم أولى لنا أن نقيم مجتمعًا على غرار مبادئ وقيم إسلامنا الحنيف العظيم؟!

• يقول **د. محمود الصاوي**: «الإسلام يحبِّذ ويشجِّع الجهود الطوعيَّة كافَّة التي تستهدف خدمة المجتمع الإسلاميِّ وتثبيت قيمه، وتوسيع رقعة التكامل الاجتماعيِّ بين أرجائه، وتعتبر مؤسَّسات الوقف الإسلاميِّ من أعظم أشكال المجتمع المدنيِّ التي قدَّمها الإسلام على امتداد مسيرته الحضاريَّة المديدة، ولا توجد أيَّة مقوِّمات شرعيَّة تحول دون قيام المجتمع بفروض الكفايات التي تستهدف الصالح العام، وسدِّ احتياجات المجتمع عبر مؤسَّسات طوعيَّة أو خيريَّة أو أهليَّة أو مجتمع مدنيٍّ برؤية نابعة من قيم المجتمع ومعتقداته»[(٣)].

❁❁❁

(١) الواقع العربيِّ وعوائق تكوين المجتمع المدني، مجلة «هاو آر الجديدة»، عدد ٢ أبريل ٢٠٠٥م، ص (١٠).
(٢) جريدة المصريون ٢٠/ ٣/ ٢٠١٠م، مقالة: «العَلمانيَّة سيئة الصيت»، د. كمال حبيب.
(٣) الفكر الليبرالي تحت المجهر، ص (٢٣١).

رابعًا: المواطنة:

حيث تعمل الليبراليَّة على تعزيز مفهوم المواطنة.

تقول «**دائرة المعارف البريطانيَّة**»: «المواطنة علاقة بين الفرد والدولة كما يحدِّدها قانون تلك الدولة، وبما تتضمَّنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة في تلك الدولة، متضمِّنة هذه المواطنة مرتبة مِنَ الحريَّة مع ما يصاحبها من مسئوليات»(١).

ولا يوجد إقرار للأوطان وحقِّ المواطنة مثلما جاء في الإسلام، وهؤلاء الذين يعادون الإسلام، إنما يعادون ما يجهلون، والمرء عدو ما يجهله.

إنَّ إخراج الإنسان مِنْ داره أو إبعاده عن وطنه مساوٍ للقتل في مشقَّته وصعوبته على النفس الإنسانيَّة. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

بل إنَّ القرآن الكريم عندما أَذِنَ للمؤمنين بالقتال كان إخراجهم من ديارهم وإبعادهم عن أوطانهم سببًا علَّل به القرآن الإذن بالقتال. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

وهل يمكن لأحد من الرويبضة من الليبراليّين أن يجيب لنا عن هذا السؤال: هل تكون المواطنة بديلا عن الإسلام، وعلى الناس أن تختار بين المواطنة أو الدّين؟!

وهل القبول بالمواطنة يتم بنزع الهويَّة الدّينيَّة ومصادرتها ؟!

• يقول **الأستاذ منير شفيق:** «لقد عاش النصارى ثلاثة عشر قرنًا كاملة في ظلِّ

---

(١) مجلة المستقبل العربيّ، العدد (٢) سنة ٢٠٠١م، ص (٦٦) تحت عنوان: «مفهوم المواطنة في الدول القوميَّة» للأستاذ علي الكواري.

أنظمة إسلاميَّة، وطبَّقوا في معاملاتهم الاقتصاديَّة وحياتهم المدنيَّة والاجتماعيَّة أحكام الشريعة الإسلاميِّة، مع مراعاة أحكام دينهم إذا اقتضى الأمر، ولم يخطر ببالهم أنَّ نظامًا آخر في العالم يشكل بديلًا أفضل، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ غربة بعض النصارى المعاصرين عن النظام الإسلاميِّ مسألة حديثة، رافقت الهيمنة الاستعماريَّة، ونهلت مِنْ ثقافتها، وحملت مقولاتها»[1].

• والوطنيَّة تستدعي الدفاع عن الوطن، والنفور من التعاون مع أعدائه بأي شكل من الأشكال، واحترام ثقافته التي يدين بها الغالبيَّة من أبنائه، ويرعى ما يرتضيه المجتمع من أسلوب حياة، فإذا كان المجتمع متديِّنًا، فالوطنيَّة هي جعل تعاليم الدِّين نصب الأعين، ويستلزم أيضًا الصدق والإخلاص في طرح مشاكل الوطن وقضاياه، وعدم استغلال مآسيه لتحقيق مآرب ومقاصد فكريَّة.

• يقول **د. محمود الصاوي** تحت عنوان: «**تميُّز الرؤية الإسلاميَّة للمواطنة**»: «في أول سنة هجريَّة نصَّ دستور المدينة النَّبويَّة على أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن بينهم النصر على مَنْ حارب أهل هذه الصحيفة»[2].

ومِنْ هذا يتَّضح تميُّز الرؤية الإسلاميِّة عن غيرها حيث أشركت غير المسلمين في كثير من الحقوق العامة، وهو ما لم ينله الإنسان في دين آخر، ولا نظم أخرى، فهذه الحقوق مكفولة بنصِّ القانون الإسلاميِّ، وهي من مقرَّرات الشَّريعة، فكان ﷺ يحضر ولائم أهل الكتاب، ويعاملهم، ويُرهِنُهم متاعًا، فقد مات ﷺ ودِرْعُه مرهونة عند يهوديٍّ

---

(١) كتاب: «الإسلام في معركة الحضارة»، ص (١٥١).

(٢) «الفكر الليبرالي تحت المجهر»، ص٢٤٤ نقلًا عن كتاب: «السيرة النبويَّة» لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد (١/ ٣٢٢)، والمقصود بكلمة «دستور» المدينة النبويَّة، هو: الوثيقة أو الصحيفة، وقد سمِّيت في المصادر القديمة بذلك، وأطلقت الأبحاث الحديثة عليها لفظ «الدستور»، ولقد تعرَّض د. أكرم ضياء العمري في كتابه: «السيرة النبويَّة الصحيحة لدراسة طرق ورود الوثيقة»، وقال: «ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، وبين أنَّ أسلوب الوثيقة ينم عن أصالتها، وأنها مكونة من كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول ﷺ».

على ثلاثين صاعًا مِنْ شعير، ولم يكن ذلك عجزًا مِنْ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن إقراضه، فإن بعضهم كانَ ثريًّا، وكلهم يتلهَّف على أنْ يُقرِض رسولَ الله ﷺ، وكانت تأتيه الغنائم وله الخُمْس فيها، وإنما فعل ذلك تعليمًا للأمَّةِ، وتدليلًا على أنَّ الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم، ونهَى ﷺ عن ظلم المعاهَد، أو انتقاصه حقَّه، أو تكليفه فوق طاقته، أو أخذ شيءٍ منه بغير طِيب نفس، ما لم يكن محاربًا أو خائنًا، وقد سار على ذلك أصحابُه مِنْ بعده.

إنَّ الانتماء للوطن أو الانتساب للقبيلة لا محذور فيه، فقد كان صحابة رسول الله ﷺ ينتمون إلى قبائلهم ويُنسَبون إلى أوطانهم، فهذا أوسيٌّ وذاك خزرجيٌّ، وهذا أنصاريٌّ وذاك مهاجريٌّ، وهذا بلال الحبشيُّ وهذا صهيب الروميٌّ، وليس في ذلك معرَّة ولا مضرَّة، شريطة أنْ تكون عصبيَّة دون عصبيَّة الإسلام، فتكون دعوى جاهليَّة منتنة، فلا عصبيَّة إلَّا للحق»[1].

• إنَّ دهاء ومَكْر أصحاب هذه الأفكار المنحرفة عن صراط الله تعالى مفضوح، فهم يحاولون إثارة هذه المصطلحات لتعطيل العمل بالشريعة والتحاكم إليها، واستبدالها بما يختارونه مِنَ القوانين الوضعيَّة، وأنْ يكون الولاء والبراء للعَلمانيَّة والديمقراطيَّة بدلًا مِنَ الولاء والبراء لله ولرسوله.

لذلك تجدهم ينادون بإلغاء الهويَّة الإسلاميَّة للدولة المصريَّة، وحذف المادة الثانية مِنَ الدستور المصريِّ، وهي أنَّ الشريعة الإسلاميَّة هي مصدر رئيسيٌّ من مصادر التشريع والقانون، وعليهم أنْ يعلموا أنَّ هذه المادة بتلك الصيغة لن نقبلها، وسوف يتم تعديلها حتى تكون: الشريعة الإسلاميَّة هي المصدر الوحيد للدستور (بمشيئة الله تعالى).

• وأسوق هذا الحديث الصحيح لترى كيف كان النَّبيُّ ﷺ يُغيث ملهوفَهم، ويُسعِفُ محتاجَهم، ويعود مريضَهم.

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٤٦).

عن أنس ﷺ أن غلامًا مِنَ اليهود كان قد مرِض، فأتاه النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ فقعد عند رأسه فقال له: { أَسْلِمْ }. فنظر إلى أبيه، فقال له أبوه: أطِعْ أبا القاسم. فأسلم فخرج النَّبيُّ ﷺ وهو يقول: { الحمدُ لله الَّذي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ }[1].

• لذلك يجب التنويه والحذر مِنَ اتخاذ المواطنة سبيلًا لكسر إرادة الأغلبيَّة، والعبث بثوابتها وعقيدتها ومقدَّساتها، ومحوِ الهويَّة الإسلاميَّة، وتنحية الدِّين الإسلاميِّ، والعبث بالأحوال الشخصيَّة وفقه الأسرة والمواريث والمعاملات الماليَّة الإسلاميَّة والقضاء والتشريع الجنائي.

• وكذلك الحذر مِنْ أنْ تكون لعبة المواطنة عند الليبراليِّين ورقة يلوَّح بها لتنفيذ مخطَّطات الأعداء وأغراضهم مِنْ إحداث فتنٍ طائفيَّة، وإحياء مبدئهم الاستعماريِّ «**فَرِّقْ تسُدْ**».

❁ ❁ ❁

خامسا: العقلانيَّة الليبراليَّة:

إنها مذهب فكريٌّ يعتمد على العقل ميزانًا لكل شيء في الوجود، وحَكَمًا على كل ما في الكون، فنقول لهؤلاء: إنَّ العقل الإنسانيَّ ناقصٌ لا يُكمله إلَّا الوحي، وأنه بدون الوحي الإلهي لا يدرك عن الغيب شيئًا، ولا يدري مصالحه، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، وأن الوحيَ الإلهيَّ هو الميزان والحكم على تصرُّفات الناس، إيمانًا وكفرًا، صحة وفسادًا، صلاحًا وفِسْقًا.

• ومِنَ المعلوم أنَّ العقائد الإلهيَّة لا ينبغي أنْ تُختَبر بمعيار عقليٍّ، فكيف يحكم العقل المخلوق على تدبير الله تعالى الخالق له؟! وما هو نسبة علم المخلوق إلى علم الله الخالق؟!

• ترك الله تعالى مجالًا واسعًا للعقل يعمل فيه ويبحث وينظر ويتدبَّر في كل نواحي الكون وعلومه، من فلك وبحار وجبال وصحراء، وفي سائر العلوم من طب وفيزياء

---

(١) أخرجه البخاري، ك: «الجنائز»، ب: «إذا أسلم الصَّبي فمات هل يُصلى عليه، وهل يُعرض على الصبيّ الإسلام»، ح (١٣٥٦).

وكيمياء وطبيعة وهندسة وزراعة، وغير ذلك مِنْ ملايين المجالات المفتوحة أمام العقل، ثم طلب منه الاستسلام والإذعان لما يأتيه من عند الله تعالى عن طريق الوحي؛ كالقرآن المجيد، والسُّنَّة النَّبويَّة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]، فالعقل في شئون الدنيا: **(أنتم أعلم بأمر دنياكم)**، والوحي في شئون الدِّين، وبما أنَّ الشرع حريص على مصالح العباد، فهو أعظم وأحسن مَنْ يحافظ على شئون الدنيا، ويوجِّهها إلى المسار الصحيح، فهما متكاملان لا مختلفان؛ لذلك حذَّر الشَّرع الحنيف مِنَ اتباع الهوى في كل ما يخالف الشرع، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ [القصص: ٥٠].

• فالعقل في الإسلام له مكانة وسطيَّة، فلا إفراط ولا تفريط، ثم أيُّ عقل يمكننا أنْ نعتمد عليه، ونثق فيه؟!

وهل العقل عند الإنسان إلَّا محصِّلة مجموعة مِنَ البيانات المدخَلة إليه عبر سنواته الطويلة، تحدِّد تفكيره وأنماطه، فإذا كانَ المدخول إليه صالحًا صار عقلًا صالحًا، وإذا كانَ المدخول إليه فاسدًا صار عقلًا فاسدًا.

• واحتمال الخطأ وارد في العقل بنسبة كبيرة، لكنه غير وارد بالمرَّة في شرع الله ﷻ.

• ولقد ذمَّ الله تعالى المعطِّلين لعقولهم، المقلِّدين للآباء بغير عقل أو هدى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾. [البقرة: ١٧٠].

• وذمَّ الاعتداء على العقل: فحرَّم شربَ الخمر، ورفع المسؤوليَّة والحرج عن النائم والصغير والمجنون والمعتوه، والقرآن لا يخاطِب إلَّا العقلاء، والتكليف خاصٌّ بهم والمسؤوليَّة تقع عليهم.

• ولقد شهِد الأعداء والأصدقاء على أن القرآن والسُّنَّة تخاطِب العقل، وتقدِّم البراهين والأدلة، تميُّزًا عن أي دين آخر في هذا الزمان، وأنه يقوم على البيِّنات والحُجَجِ.

يقول **د. محمد تقي الدّين:** «التجربة والمشاهدة تُثبتان أنَّ العقل لا يستطيع خارج النِّطاق المحدَّد له أن يتدخَّل في شئون الوحي، وأنَّ النقطة التي تنتهي عندها طاقة العقل يبدأ منها عمل الدِّين، قال تعالى: ﴿أَلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه]»[1].

ويقول **أبو حامد الغزالي:** « فمثال العقل: البصر السليم عن الآفات والاذاء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء. فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء. المستغني إذا استغني بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن، مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور »[2]. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد].

• أين عقل الإنسان: حين عجزه، حين جهله، حين مرضه، حين النظر والسعي فيما لا ينفعه، أو لما في هلاكه، وهل يستطيع العقل أنْ يخبرنا عن الروح أو البرزخ أو الملائكة أو الجن أو الشياطين بدون وحي؟!

هل يستطيع العقلُ أنْ يُحدِّد لنا المواريث، والمحارم من الأقارب ومِنَ النسب، والحلال والحرام، وأنْ يهتدي إلى الحق والهدى، وإلى ما يُسعده؟!

يجيب على هذا التساؤلات **د. محمود الصاوي** فيقول: «تأتي الإجابة بالنفي لأن ذكاء الإنسان وفكره محدود، وقد تكون الفكرة قيد البحث صعبة ومعقَّدة، وقد لا تتوافر المعلومات اللازمة لإصدار حكم عليها، ومن ناحية أخرى قد يكون العائق لإصدار الحكم الصحيح الهوى والغرض وصعوبة التجرُّد لإصدار حكم موضوعيٍّ وعادل، .. وانظر لأخطاء النازيَّة والعنصريَّة والرأسماليَّة والليبراليَّة، **وماركس وفرويد** وأصحاب المدرسة

(١) عصر الإلحاد، خلفيته التاريخيَّة وبداية نهايته، ص (٧٩).
(٢) «الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي، المقدمة، ص (١٠).

الوضعيَّة (وهي مذهب فلسفيٌّ مُلحِد)[١]، والبراجماتيَّة، والعَلمانيَّة، لم تستطع إسعادَ الإنسان ذي الجسد والروح، وذي الخلق والقِيَم، لم تستطع إشباع الجانب الروحيِّ فيه، ولا أن تعطيه معنى الحياة، ولم يستطع العلم تزويد الإنسان مطلقًا بقدرات تمكِّنه وحدها مِن مواجهة الابتلاء، ولا منحته الشعور بالسلوى، ولم تستطع أنْ تحلَّ مشكلات المجتمع والأسرة والشباب والأنانيَّة والعلاقات الإنسانيَّة والاكتئاب.. إلخ»[٢].

• وإذا تأملتَ الوحي (قرآن وسُنَّة) في حكمة التشريع سوف تجد أن هذا التشريع السماويَّ جاء كاملًا غير منقوص، شاملًا كافة نواحي الحياة، لا يعرف المحاباة ولا المجاملة كمناهج البشر، وتجده يحمل صفات صاحب الشرع مِن: الحكمة والرحمة والهيمنة والعدل والقوة والحقِّ، مثاليًّا واقعيًّا، لم يغفل عن حاجات البشر وشهواته، بل هذَّبها ووجَّهَها إلى الوجهة الصحيحة السليمة النافعة.

• وأهم دور ووظيفة للعقل هي: فهم الوحي والاهتداء به، وفهم مراده، وتدبر آياته في الكون؛ لذلك يقول أهل النار يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك].

• لذلك تجد أن القرآن الكريم الذي كرَّم الله تعالى فيه الإنسان، وخلقه في أحسن تقويم، قد رَدَّه إلى أسفل سافلين، إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتجد أنَّ الله ﷻ عندما يشبِّه الإنسان بالكلب أو الحمار، تجد ذلك مرتبطًا بآيات الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، النسخة الإلكترونيَّة، موقع صيد الفوائد- مذهب الوضعيَّة.

(٢) الفكر الليبرالي تحت المجهر، ص (٢٦٥-٢٦٦).

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

• كأنَّ دور العقل مع الشرع الأدبُ، وهو ينحصر في التلقِّي من الله والرسول ﷺ، وأن يكون الدِّين حاكمًا عليه، وليس للعقل أنْ يكون حاكمًا على الدِّين بالصحة والبطلان والتعديل، والقبول والرفض، بعد تأكُّده من صحَّة صدوره عن الله تعالى، إنما يتلقَّى الدِّين الصحيح بالقبول والفهم، والطاعة والانقياد، فالله تعالى لا يريد به إلَّا اليسر.

• ولا يوجد في الإسلام تناقض بين النصِّ الصحيح والعقل السديد، وقد ألَّف ابن تيمية رحمه الله كتاب: «**درء تناقض العقل والنقل**» مبيِّنًا استحالة وقوع هذا التناقض.

• والعلاقة بين العقل والنصِّ (الوحي مِنَ القرآن والسُّنَّة) علاقة تكامل وليست علاقة تضادٍّ، فالوحي لا يستغني عن العقل، والعقل لا يستطيع أن يستقِلَّ عن الوحي، وكلاهما مِنَ الله تعالى، فالذي أنزل الوحي هو الله سبحانه، والذي خلق العقل هو الله سبحانه، قال تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ**﴾ [الأعراف: ٥٤].

• والأزمة بين العقل والنقل أزمة مفتعَلة من أحد اثنين؛ إمَّا مكابرٍ عنيدٍ يمنعه كِبْرُهُ مِنَ الوصول إلى الحقِّ والإذعان له، وإمَّا جاهلٍ يمنعه جهلُه مِنَ الوصول إلى الحقِّ، فيعاديه لعجزه عن العلم، والإنسان عدوُّ ما يجهله.

يقول **د. محمد عمارة**: «نحن مع العقلانيَّة الإسلاميَّة المهتدية بنور الوحي، والتي كانت سبيل سيادتنا على الدنيا بأجمعها، ولسنا مع عقلانيَّة الغرب واليونان، والتي تبلورت في بيئة لا وحيَ فيها»[1].

• وهل لنا أن يجيب هؤلاء (المكابرون أو الجاهلون) على هذا التساؤل: لماذا تريدون تعطيل عمل أحد العَمَلَيْنِ: عملِ العقل، وعملِ الوحي كأنهما خَصمان لدودان؟!

إذا كنتم عجزةً عن الجمع بين العقل والوحي، فإن السبب يعود إليكم، وإلى

(١) أزمة العقل العربيّ، ص (٣٥).

المدخلات الثقافيَّة الموبوءة لعقولكم.

• إنَّ قضيَّة تقديس العقل قضيَّة غربيَّة الأصل لها ارتباطها بالنصرانيَّة والكنيسة عندما وقفت أمامهم ضدَّ ما حقَّقه العقل الإنسانيُّ، أمَّا الإسلام فيضع العقل في مكانه السليم. يكفيك أنَّ أول ما نزل مِنَ القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق]، واقرأ صدر سورة الرحمن ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾ [الرحمن].

• إنَّ سُموَّ العقل في الإسلام مِنْ سمُوِّ الغاية التي خلق الله تعالى الإنسان مِنْ أجلها، وهي: الخلافة، والعلم، والعبادة والتقوى، وتحمُّل الأمانة، والمسابقة لفعل الخيرات ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. هذه غايات الخلق للإنسان لا يمكن له أنْ يتحمَّل تبعاتها إلَّا بعقل سديد رشيد، ولا يمكن أنْ يقوم بها إلَّا صاحب دين قويم.

❁ ❁ ❁

سادسًا: الليبراليَّة الإنسانيَّة:

هي دعوة لتكون بديلًا عن الدِّين الذي هربت منه عقول الغَربيِّين.

• إنَّ هذه الإنسانيَّة الملوثة برداء العَلمانيَّة أو الإلحاد، والتي تدعو إلى قطع الإنسان عن خالقه ومصدر وجوده وسبب سعادته، إنما هي دعوة للعشوائيَّة والجهل والتخبُّط، وأنْ يشرِّع الإنسان لنفسه بهواه، ويسير خلف ملذَّاته الغائبة، ويحيَا بروح الأنانيَّة ولو على حساب الآخرين.

• ويستحيل أنْ يعيش الإنسان بدون تميُّز، لا بُدَّ أنْ يكون الناس فوق بعضهم، يُسَخِّرُ بعضُهم بعضًا، حتى الدول التي وُلدت فيها هذه الأفكار والهداية تحيَّزت لنفسها، واخترعت حقَّ الفيتو لحماية الدول المارقة الخمس الدائمة العضويَّة.

• والإسلام الملَّة الوحيدة على بساط هذه الدنيا التي جمعت بين الناس في بوتقة عدل واحدة، فأخبرت: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] لتلغي بذلك التفاضل بسبب الغِنَى أو الحَسَبِ أو النَسَبِ، وجعلت هذه التقوى هي أساس التعارف والتعاون.

• إنَّ دعوة الليبراليَّة إلى الإنسانيَّة تبغي إلغاء عقيدة التوحيد في الإسلام، والتي صلبُها الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة مِنَ الشرك والمشركين، وفتح المجال لحملات التبشير والتنصير في ديار المسلمين، والتمهيد للتطبيع والتطويع مع اليهود والأمريكان الغاصبين المحتلِّين لبلاد المسلمين، وحريَّة التنقُّل بين الأديان والإلحاد وسبِّ الدِّين.

❁❁❁

سابعًا: مذهب اللَّذة والمنفعة:

وهو تجديد لمذهب فلسفيٍّ يونانيٍّ قديم، وتعتبر هذه الفلسفة أن مقياس سعادة الفرد والمجتمع هو المنفعة واللَّذة، بصرف النظر عن توافق ذلك مع الأخلاق الصحيحة أو الدِّين. وقد ظهر هذا الاتجاه النفعي في المذهب البراجماتي الأمريكي.

• **والمنفعة:** «فكرة فلسفيَّة لا تلتزم بالأصول الدِّينيَّة، إذ تقيس صواب العمل بمقدار ما يحقِّقه من منفعة وسعادة، بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق، أو مطابقته للدِّينِ، وترى أنَّ كل ما يلزم به الدِّين يمكن للقانون بقصاصه والرأي العام بجزاءاته أنْ يأتي به»[1].

• **والنفعيَّة:** إطار لا أخلاقيٌّ تسود فيه الماديَّة والإلحاد والانحلال.

فليقولوا لنا: أيُّ منفعة في شرب الخمر، وتغيُّب العقول بالسُّكر، فيهدر الإنسان كرامته، فينام حيث يبول، ويرتكب مِنَ السَّخافات والموبقات والجرائم في حالةِ سُكْرِه ما الله به عليم ؟!

وأيُّ منفعة للسَّارق الذي يسطو على الضعفاء ويُرهِبُهم، ويَستحوِذ على كسبهم الذي كابدوا في الحصول عليه حلالًا طيِّبًا ساعات طوالًا، فيسرق أموالهم ومتاعهم، فيكسر قلوبهم، ويُدمِي أعينهم، ويُسلِمُهم إلى الجوع والحرمان والفزع والكآبة ؟!

وأيُّ منفعة للزَّاني الذي يَهتِك الأعراض من أجل لذَّة ثوانٍ معدودة، يكون وراءها

---

(١) «الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/ ٨١٩).

خراب المجتمع، واختلاط الأنساب، وعذاب البنات الحوامل مِنَ الزِّنا، فتنصب خيام الكآبة والكراهية والبغضاء بين أرجائه؟!

• ومَن هذا الإنسان الذي يحدد لنا المنفعة؟! وهل يُحَدِّد لنا بهواه أو من أجل شهواته؟! وما الفرق بين هذا الإنسان والأخلاق البهيميَّة الفاسدة؟!

ألا يعلم هذا الفاسد العاهر أن المرء قد يُحِب شيئًا وليس له فيه خير ولا مصلحة، مثل الزَّاني الذي يُحب الزِّنا. أيُّ خير ومصلحة تعود عليه وهو يعرِّض نفسه لأمراض السيلان والزهري والإيدز ؟! وما سمعنا يومًا أنَّ رجلًا يقضي شهوته من خلال الزواج المباح أصيب بهذه الأمراض.

• إنَّ الإنسان بمفرده – وهو بعيد عن الوحي- يجهل الفروق المرجِّحة لما يفيده مما يضرُّه.

• وهل المنفعة قاصرة على حصر المنافع في الدنيا فقط دون النظر إلى الآخرة ؟!

• إنَّ هذه المنفعة هي منفعة الملحدين والوجوديِّين والكافرين.

• وهل وقف الإسلام يومًا ما حاجزًا أو حائلًا ضدَّ المنفعة الصالحة للإنسان؟!

والحق يجب أنْ يُقال: إنَّ الإسلام هو الذي يُحدِّد المنافع والمضارَّ، الطيِّبات والخبائث في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وقال ﷺ: **{ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَع، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَع، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَع، وَعَيْنٍ لَا تَدْمَع، وَمِنْ دَعْوَة لَا يُسْتَجَابُ لَهَا }** (١).

• لذلك حرَّم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل، وأرسَى قاعدة **{لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ}**، وأنفع شيء للناس هو الحقُّ، وأضرُّ شيء بالناس هو الباطل، وأحبُّ الناس إلى

(١) أخرجه مسلم: ك: «الذكر والدعاء والتوبة»، ب:«التعوّذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل» ح (٢٧٢٢).

الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الاعمال إلى الله سرور تُدخِلُه على مسلم، تكشف عنه كُربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، أو تمشي له في حاجة.

• يقول **الشاطبي** رحمه الله: « إِنَّ الْمَصَالِحَ الَّتِي تَقُومُ بِهَا أَحْوَالُ الْعَبْدِ لَا يَعْرِفُهَا حَقَّ مَعْرِفَتِهَا إِلَّا خَالِقُهَا وَوَاضِعُهَا، وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ بِهَا عِلْمٌ إِلَّا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، وَالَّذِي يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي يَبْدُو لَهُ؛ فَقَدْ يَكُونُ سَاعِيًا فِي مَصْلَحَةِ نَفْسِهِ مِنْ وَجْهٍ لَا يُوَصِّلُهُ إِلَيْهَا، أَوْ يُوَصِّلُهُ إِلَيْهَا عَاجِلًا لَا آجِلًا، أَوْ يُوَصِّلُهُ إِلَيْهَا نَاقِصَةً لَا كَامِلَةً، أَوْ يَكُونُ فِيهَا مَفْسَدَةٌ تُرْبِي فِي الْمُوَازَنَةِ عَلَى الْمَصْلَحَةِ؛ فَلَا يَقُومُ خَيْرُهَا بَشَرِّهَا، وَكَمْ مِنْ مُدَبِّرٍ أَمْرًا لَا يَتِمُّ لَهُ عَلَى كَمَالِهِ أَصْلًا، وَلَا يَجْنِي مِنْهُ ثَمَرَةً أَصْلًا، وَهُوَ مَعْلُومٌ مُشَاهَدٌ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ، فَلِهَذَا بَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ »[1].

• يقول **د. عبد العظيم المطعني:** «لكن البراجماتيَّة بصورتها الغربيَّة تُرجع المجتمع إلى شريعة الغاب، أو إلى مجتمع حيوانيٍّ لا يعرف إلَّا إشباع الرغبات، وكأن البراجماتيَّ يقول لك: افعل ما شئت إذا كان في الفعل خير لك، ولا تتقيَّد بأيَّة قيود تَفْرض عليك نمطًا معيَّنًا من الأخلاق»[2].

• إنَّ اتخاذ المنفعة في ذاتها معيارًا للأفعال الخلقيَّة يؤدِّي لا محالة إلى اللَّبس بين الحقِّ والباطل، ولا خير بعده النار، ولا شرَّ بعده الجنة.

• إنَّ هؤلاء يعيشون في وهم كبير وضلال مبين، لا يمكن أن تستقيم به الحياة أو ينصلح به حال الأمَّة، إنهم في حالة صراع بين العقول والأهواء، ومخالفة فطرة الله ﷻ الذي فطر الناس عليها.

• ومتى كانت اللَّذة وحدها والمنفعة هي التي تُحقِّق السعادة، والواقع يشهد أن الفرد المتَّصف بالأنانيَّة هو أشقى الناس، وأشدُّهم حُمقًا وحسدًا، بل هو في الواقع أتعس

---

(١) الموافقات للإمام الشَّاطبي، تحقيق محمد محيي الدِّين عبد الحميد (١/ ٣٤٩).
(٢) الإسلام في مواجهة الأيدلوجيَّات المعاصرة، ص (١٥٧).

الناس عندما يقذف الفواحش، ويعيش حياة اللا مبالاة والحريَّة الفوضويَّة[١].

• إنَّ شريعة الإسلام وضعت الضوابط والموازين الربَّانيَّة التي تعلو وتسمو بالإنسان وعقله، وتوظِّف طاقاته وهواه وشهواته إلى ما فيه الخير والنَّفع والصلاح والاستقامة له وللأمَّةِ، وبما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة.

• ولا يخفى على هؤلاء أن كثيرًا ما يكون الخير في الألم مثل: فِطَام الطفل الرضيع، والدواء والحقن والعمليات الجراحيَّة للمريض، والجروح والقتل في الحرب دفاعًا عن الدِّين والوطن والعِرض والمال، وكذلك قد يكون الشرُّ في اللَّذة، فكم يشعر الإنسان بالتُّخْمة، ويعرِّض نفسه للوَخَم والكسل والمرض بسبب الإسراف في الطعام والشراب، وكما يُضَيِّع المرء مِنْ مصالح ومنافع بميله للنوم الكثير على الفراش الوثير، وهكذا فأيُّ عمًى وضلالٍ ووهمٍ ينادي به هؤلاء الليبراليُّون؟!

❁❁❁

ثامنًا: التَّسامُح عند الليبراليَّة:

يعني كما يقول **جون لوك**: «إنه ليس مِنْ حقِّ أحد أنْ يقتحم باسم الدِّين الحقوق المدنيَّة والأمور الدنيويَّة»، ويُعقِّب **د. مراد وهبه** على هذا المفهوم فيقول: «إنَّ التَّسامُح يعني عند هؤلاء ألَّا يكون للدولة دين»[٢].

• فالتَّسامُح عندهم يعني قبول الآخر على علَّاته، وضدُّه التعصُّب، وبمعنى آخر: ترك الناس يفكِّرون ويتكلَّمون ويتصرَّفون كما يشاءون، فأهمُّ سِمَات التَّسامُح الحريَّة، وهم يقصدون بذلك أن يكون الخطأ له حقٌّ مساوٍ لما في الصواب مِنْ حقٍّ، ومنع التدخُّل في حياة الآخرين.

يعادون بذلك مبادئ الإسلام في النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) إذا أردت المزيد في هذا الموضوع فراجع كتاب: «الأخلاق الغربيَّة في الميزان» للدكتور حسن الشرقاوي.
(٢) «رسالة في التَّسامُح» «لجون لوك» ترجمة: منى أبو سِنَّة، تقديم: د. مراد وهبه، ص (٧، ٨).

والأخذ على يد الظالم، وأَطْرِ الناس على الحقِّ، ودعوتِهم إليه.

وهذا المفهوم الليبراليُّ المنكوس تأمَّلْهُ على كافة الأصعدة، مرورًا بالأسرة وعلاقة الزوج بزوجته وأولاده وتربيتهم وزجرهم عند الوقوع في الأخطاء، والعلاقات داخل الحيِّ والمدرسة والجامعة والمؤسَّسة والشركة والمصنع.

إنها دعوة للفوضَى والانحلال، ونشأة أجيال بعيدة كل البُعد عن التربية السليمة الجادَّة النافعة.

• إنَّ الغرب يريد أنْ يدفعنا بهذا التَّسامُح إلى استعمار عقولنا قبل بلادنا.

أين التَّسامُح عند هؤلاء ؟

يقول د. محمود الصاوي: « هل نهب المسلمون ثروات الغرب؟ هل بقرنا بطون نسائهم؟ هل خلّفنا فيهم آلاف القتلى والجرحى في بلادهم؟ هل فرضنا عليهم ثقافتنا وقيمنا؟ هل دخلت خيولنا الفاتيكان؟ وهل داست أقدامنا الإنجيل والتوراة كما دخلت خيولهم الأزهر الشريف؟ هل قتلنا العلماء ونكّلنا بهم؟

إننا لم نفعل ذلك كله، لكنهم هم الذين فعلوه فأين التَّسامُح المزعوم عندهم؟!

هل دفعوا تعويضات لنا عن شهدائنا الذين قتلوا على أيديهم؟!

هل نزعوا الألغام التي زرعوها في بلادنا في العلَمين، والتي خلَّفت وما تزال مئات المعاقين مِنْ أبناء المسلمين؟ وعطَّلت استصلاح آلاف الأفدنة كانت كفيلة بدفع عجلة التنمية في بلادنا ؟

هل عوَّضونا عن أسْرَانا الذين دفنوهم أحياءً تحت رمال سيناء وغيرها؟

أين التَّسامُح الذي تَزْعمون وأيديكم مخضَّبة بدماء شهدائنا في طول تاريخ أمتنا وعرضها، وحتى يومنا هذا؟!

• إنهم يريدون منا أن نبيع ديننا، ونغيِّر قيَمَنا، وندوس على مبادئنا، ونعيد صياغة مناهجنا التعليميَّة وفق مبادئهم وأفكارهم وأطروحاتهم الإلحاديَّة -والتي تحمل لنا التبعيَّة لهم- حتى يقلِّدون وسام التَّسامُح المزعوم[1].

---

(١) «الفكر الليبرالي تحت المجهر»، ص (٣١٣-٣١٤).

• إنَّ الإسلام لا يضع عقائده ومبادئه على مائدة المفاوضات والأهواء، ولا يفرِّط فيها مِنْ أجل مبادئ هدَّامة وأُناس لا خلاق له، ولا هدف لهم إلَّا القضاء على الإسلام وعظمته في بلاد المسلمين، وما يدفعهم إلَّا الحسد كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[البقرة: ١٠٩].

• والواقع الغربيُّ على امتداد التاريخ الحديث والمعاصر يكذِّب حقيقة التَّسامُح الغربيِّ المزعوم، إنَّ مبدأ الغرب: الاستعداد للتضحية بالآخرين من أجل مصالحه.

• أمَّا التَّسامُح في الإسلام فاقرأ إن شئت كل ما ورد في الكتاب والسُّنَّة مِنَ الأحكام والآيات والأحاديث الدَّالة على الرحمة والصفح والعفو والمغفرة والإحسان والصلح والتشاور والتآزر والتواصي، وحقوق الأخوة والجيران والأرحام وحُسن مُعاشرة غير المسلمين مِنَ البرِّ والقسط إنْ لم يكونوا محاربين، والسماحة في البيع والشراء، وكل ما يُعبِّر عن حسن الخلق في الإسلام.

فالتَّسامُح في الإسلام أشمل وأوسع وأعدل وأنفع للبشر من هذه الترَّهات السخيفة التي جاء بها هؤلاء الليبراليُّون.

• بل إنَّ النَّبيَّ ﷺ بُعِثَ بالحنيفيَّة السَّمحة، وسيرتُه العَطِرة مليئة بالتَّسامُح مع أعدائه، وقد فاق التَّسامُح الدِّينيُّ في الإسلام كل أشكال وألوان التَّسامُح عند الآخرين.

أمَّا مفهوم الليبراليِّين عن التَّسامُح فهو منقوص مغلوط فضفاض، يتضمن حقًّا وباطلًا، فيه من المداهنة والدنيَّة ما فيه.

فحقوق الله تعالى لا يملك أحد التنازل فيها عن شيء لأنه لا يملكها، وفاعلها لا يسمَّى متسامحًا.

• وللتَّسامح درجات وفقه وأصول وقواعد في شريعتنا الغرَّاء، والأصل في الإسلام وتشريعاته التيسير ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٧٨].

وفي الحديث: { مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فَيَنْتَقِمَ لله بِهَا }[1].

• فلا يجوز التَّسامُح لمن ترك فريضة من فرائض الله تعالى، أو أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالًا، كما لا يجوز التَّسامُح بتقديم عمل لغير المسلمين يدل على الخضوع والذلِّ لهم، وهذا هو الإطار العام الذي يحكم مبدأ التَّسامُح في الإسلام.

❁❁❁

تاسعًا: مبدأ السيادة عند الليبراليِّين:

إمَّا سيادة الشعب فهو مصدر السلطات، أو سيادة القانون، ولا يعترفون بغير العقل مصدرًا وحيدًا للمعرفة.

• عندما تُنَصَّبُ طائفة من طوائف الأمَّة لتقوم بالتشريع وسَنِّ القوانين لباقي الأمَّة اعتمادًا على ما تنتهي إليه عقولهم وأهواؤهم ومصالحهم. ما الضمان لسلامة هذه العقول من الهوَى والأنانيَّة ورعاية المصالح الشخصيَّة الذاتيَّة، وظلم الآخرين، وعدم رعاية الطوائف الأضعف في المجتمع والفئات المهمَّشة والفقيرة؟!

• كيف تجمع بين المصالح المتعارضة، وخاصَّة الرأسماليِّين وأصحاب العمل، والعمال الكادحين؟ فلو تُرِكَ البشر يشرِّعون لأنفسهم دون وجود جهة عُليا تطَّلع على مصالحهم ومنافعهم، وتجمع بينها بلا تضارب ولا مضارٍّ، فسوف يشرِّعون لأنفسهم وِفْق عقولهم المحدودة، دون رادع قوي ورقيب أعلى على تصرُّفاتهم.

• لا بُدَّ مِنْ ميزان دقيق واضح تحْتكِم إليه الأمَّةُ كلُّها حُكَّامًا ومحكومين.

• إذا وضعنا السيادة للأمَّةِ، فهل معنى ذلك أنْ نُلغِيَ العبوديَّةَ لله تعالى؟ وأنْ يُصبح

---

(١) أخرجه البخاري ك: «المناقب»، ب: «صفة النَّبي ﷺ» ح: (٣٥٦٠) عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الحلال ما أحلّته المجالس النيابيَّة، لا ما أحلّه الله؟!

• ألا تتعجَّب معي، ويتعجَّب هؤلاء الذين يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم من الرميَّة مِنْ قول بابا الكنيسة السابق «شنودة» عندما رفض حكم القضاء المصري بحق الزواج بعد الطلاق. قال: «أريد أنْ أطمئنكم. لا توجد قوة في الأرض تستطيع أنْ تُلزم الكنيسة بأي شيء ضدَّ تعاليم الإنجيل، ولا بأي شيء ضدَّ ضمير الكنيسة، ولا يمكن أنْ توافق الكنيسة على تزويج المطلق إلَّا بناء على تعاليم الإنجيل، مهما كانت هناك أحكام من المحاكم»، وأخذ يردِّدُ قصيدة له:

ضاع منا كل شيء ... لم يعد شيء لنا
غير إنجيل يسوع ... فهو باقي عندنا
كل حرف فيه أغلى ... عندنا من روحنا
إنما الموت هو ... التفريط في إنجيلنا
إنما الموت هو ... التطليق من غير زنى[1]

فهذا ما يتمسَّك به أصحاب الأناجيل، وهم يعلمون ما فيها، وماذا وقع فيها مِنْ تبديل وتحريف واختلاف! فأين أصحاب الدِّين الحقِّ القويم السديد، الذي لم يصبه تحريف ولا كتمان ولا تبديل، وختم الله تعالى به الرسالات؟.

ثم لماذا لا يُهاجَم أصحاب هذه المذاهب والمعتقدات الباطلة والساقطة؟، ولماذا يحرصون أشدَّ الحرص على مناقضة الإسلام ومبادئه؟!

• أي سيادة يريد الناس: سيادة الشريعة الإسلاميَّة، أم سيادة شريعة هؤلاء؟!

فإذا تم إحراجهم بهذا السؤال، قالوا لك: نحن نثق في الشريعة الإسلاميَّة، لكن لا

---

(١) الموقع الرسمي للبابا شنودة: أسئلة عن الشباب والأسرة St-takia.org، وجريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٩/ ٦/ ٢٠١٠م (الصفحة الأولى).

نثق فيمن يُطبِّقها؟!

فنقول لهم: وهل نحن نثق فيكم عندما تريدون أن تحكمونا بالأهواء؟!

مع العلم أنه لا يقوم على شريعة الرحمن إلَّا القويُّ الأمينُ، إلَّا «رجالٌ» صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فإذا توفَّر في الأمَّة رجالٌ أصحاب أمانة ودين وقوة وعدل وخبرة وعلم فهم أحقُّ مِنْ يقود بنا سفينة النجاة.

• وشرع الله ﷻ لنفسه مبدأ السيادة، وهو ملزِم للشعب والأمَّة ونوَّاب الأمَّة، ولا يجوز الاقتراع عليه، أو إحداث تشريعات تخالف الشرع الحنيف؛ لأنَّ هذه الشريعة الإسلاميَّة السَّمحة هي الدستور الأسمَى للمسلمين، فكل ما يوافق هذا الدستور مِنْ قوانين أخرى فهو صحيح، وكل ما يخالف هذا الدستور مِنْ قوانين أخرى فهو باطل، مهما تغيَّرت الأزمان وتطورت الآراء.

يقول **د. مصطفى كمال:** «إنَّ شرعيَّة السلطة تُسْتَمَدُّ مِنْ سيادة الشرع، حيث تقاس شرعيَّة الدولة بمدى التزامها بأحكام الإسلام»[1].

يقول **د. صلاح الصاوي:** «السلطة السياسيَّة مصدرها الأمَّة، والنظام القانوني مصدره الشَّرع»[2].

• ونحن نعرف أن من أسماء الله سبحانه «الحَكَم» فلماذا نعطِّل هذا الاسم؟!

وإذا كُنا نعترف أنَّ الله ﷻ هو الملك، فكيف بملِك لا يحكُم؟!

• فالحقُّ عند المسلم هو: ما أمر الله تعالى ورسوله به، أو دعا إليه، وإنْ خالف ذلك أكثر مَنْ في الأرض.

والحقُّ عند الليبراليَّة هو: ما أمر به أفراد الشعب، والباطل ما نهى عنه أفراد الشعب!،

---

(١) النظم الإسلاميَّة، ص (١٥٨).

(٢) التعدديَّة السياسيَّة في الدولة الإسلاميَّة، ص (٣٢).

وأيهما معصوم: إرادة الله تعالى أم إرادة الشعوب؟!

❁ ❁ ❁

عاشرًا: الليبراليَّة والأخلاق:

وإذا كنا نبحث عن الأمن فلن يتحقَّق إلَّا بالإيمان؟!

فالإيمان يدعونا إلى عدم قتل النفس، وإلى عدم الاعتداء على الغير أو ظلمهم، أو أكل أموالهم بالباطل، والإيمان ينهانا عن السرقة والغشِّ والاحتكار والرِّبا، والإيمان يدعونا إلى العدل والإنصاف، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، ويأمرنا بالإتقان والإحسان وبرِّ الوالدَّين، وطاعة الولاة والأمراء المسلمين في المعروف، فالإيمان بالله تعالى هو صمام الأمن الحقيقيُّ للمجتمعات، وهو مجمع الأخلاق الحميدة، والحائل بين الأخلاق الرذيلة والمجتمعات الإسلاميَّة، ورحم الله الشاعر الهندي المسلم **محمد إقبال** عندما قال:

إذا الإيمـان ضـاع فلا أمان ... ولا دنيـا لمن لم يُحـيي دينا

ومن رضي الحياة بغير ديـن ... فقد جعل الفـناء لها قرينا

• والإيمان يدعونا إلى إقامة الحدود، فإذا قُطِعت يد سارق فلن تجد من يسرق ثروات الشعوب، ويَهرُب بالمليارات، وإذا قُتِلَ قاطع الطريق البلطجيُّ فلن تجد بلطجيًّا واحدًا يهدِّد أمن الناس وحياتهم، وإذا جُلِد زانٍ واحدٌ فلن تجد مَنْ يغتصِبُ النِّساء، أو يتحرَّش بهم، ولن تجد أطفال الشوارع ولا أولاد الزِّنا (اللُّقطاء).

وانظر إلى الجريمة في بلاد المسلمين عندما كانت تطبَّق حدود الله تعالى، وإلى حالها اليوم عندما عُطِّلت هذه الحدود؟!

وانظر إلى مستوى الجريمة في شهر رمضان وما عداه من الشهور لتعرف أثر الإيمان على الأمن.

• أليس الإيمان يدعونا ويدعو الحكام إلى إقامة العدل؟.

وهذه الثلاثة [الإيمان بالله، وإقامة الحدود، والعدل] هي صمام الأمن والأمان في الدول الإسلاميّة.

• وأمَّا دعوة بعض الرموز الليبراليَّة إلى علمانيَّة الأخلاق، وعلمانيَّة التربية، وعلمانيَّة التعليم، فإنما هي دعوة لإبداع الفوضى، أو فوضى الأخلاق.

فغيَّروا مفاهيم الأخلاق، وأصبح الحياء ليس له علاقة بالأزياء، والبِغاء ليس له علاقة بالأخلاق، والأخلاق والشرف إنما هي آراء تواضع الناس عليها، فالليبراليُّ لديه لا مبالاة أخلاقيَّة، ونظرته إلى الأخلاق مجرَّد شأن خاصٍّ تكفله الحريَّة الشخصيَّة، بل إنه قد يعلن الحرب على القيم الأخلاقيَّة.

• والأخلاق موضوعيَّة، وليست ذاتيَّة تخضع لميول الإنسان واتجاهاته، فلا توجد أمَّة مِنَ الأمم تعتقد بأفضليَّة الكذب على الصدق! أو الظلم على العدل! أو الخيانة على الأمانة! فالقواعد العامة للأخلاق لا يختلف عليها اثنان في الوجود، فلو سألت أي إنسان عن الأمانة والعفَّة والعدل لسمعت مدحه ورضاه عنها. فعدم إيذاء الناس، والشجاعة، واحترام الآخرين كلها مبادئ عامة كل الناس متَّفِقَةٌ عليها.

فالمبادئ الأخلاقيَّة مطلقة، لكن التطبيق السلوكيَّ لها قد يختلف ويتغيَّر من طرف إلى آخر، فمثلًا: قتل النَّفس الإنسانيَّة جريمة أخلاقيَّة، لكن قتل القاتل قد يُعَدُّ نوعًا من الحياة، والمحافظة على قيمة الحياة في المجتمع، لأننا لو تركنا القاتل المتعمِّد بلا قصاص لكان هذا مدعاة لإشاعة الفوضى والخراب في المجتمع، واتِّساع دائرة القتل، وانتشار الجريمة.

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة].

• يستحيل فصل الأخلاق عن الدِّين، واعتبارها آراءً بشريَّة توافق عليها الناس،

فالرأفة والرحمة، والبرُّ والتقوى، والإيمان والإسلام، كلها أراءٌ خاصَّة بجانب إلهيٍّ وجانب إنسانيٍّ، ومصدر الأخلاق في الإسلام هو الوحي المعصوم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل].

والوصايا العَشر في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام].

والنَّبيُّ ﷺ جعل إِمَاطة الأذى عن الطريق شُعْبَةً مِنَ الإيمان(١).

فالصفات الأخلاقيَّة في الإسلام، إنما هي مستمَدَّة مِنَ الإيمان بالله وتوحيده، والتقرُّب إليه بالعبادات والطاعات.

فالأخلاق جزء لا يتجزَّأ مِنَ العقيدة (عقيدة التوحيد)، والهدف منها أنْ يكون عبدًا لله وحده، لا عبدًا لهواه، أو أسيرًا لشهواته.

• والأخلاق في الإسلام تميَّزت بالضوابط التي تصون النفس، وتمنع من ابتذالها، وتعصم القلب، وتثبته على ما يُرضي الله ﷻ، وتدفعه إلى ما ينفعه وينفع الناس، وتجلب للمجتمع الأمن والطمأنينة والسعادة.

• ومِنَ العجب أنَّ هناك جرائم أجمعت البشريَّة على إنكارها أخلاقيًّا، لكنها تحظى بحماية القانون في العديد مِنَ البلدان التي نمت فيها الليبراليَّة وتركَّزت، إذا كانت

---

(١) كما في حديث «الإيمان بضع وسبعون شُعبة، والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه مسلم، ك: «الإيمان»، ب: «بيان عدد شُعب الإيمان» ح: (٣٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

بالتراضي بين طرفيها، مِنْ هذه الجرائم: الزنا وفاحشة قوم لوط والقمار مثلًا في المجتمعات الأوروبيَّة والأمريكيَّة.

• لماذا يدافع الليبراليُّون عن الرذائل الأخلاقيَّة؟ ما الهدف وما السرُّ وراء هذا الدفاع؟! لماذا يعلنون الحرب على حجاب المرأة وحشمتها وعفافها وسترها، وهم يتناسون مقولاتهم التي يصدِّعون بها رؤوسنا في الليل والنهار حول الحريَّة الفرديَّة، وحقِّ كل إنسان في أنْ يفعل ما يشاء ويدع ما يشاء؟! لماذا لا يعلنون الحرب على التبرُّج والنساء والمتبرِّجات؟!

• عندما تصبح الرذائل الأخلاقيَّة مشروعة في المجتمعات الإسلاميَّة فاعلم أنَّ وراء ذلك شياطين مِنْ أنصار الليبراليَّة، ينفثون سمومهم كما تفعل الأفاعي والحيَّات.

• إنَّ ثبات الأخلاق عقيدة إسلاميَّة راسخة، ومبدأ إسلاميٌّ أصيل، أمَّا كون الأخلاق نسبيَّة كما عند الليبراليِّين فهو مبدأ ضعيف كالسَّراب يحسبه الظَّمآن ماءًا.

يقول **د. أكرم ضياء العمري:** «إنَّ القول بنسبيَّة الأخلاق انتكاسة خطيرة أصابت البشريَّة في فضائلها ومكارمها، وفي كل ما يحقِّق إنسانيتها ورفعتها، وأدَّت لانقلاب خطير في الموازين والقيم، فصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا»[1].

وصدق قول الله تعالى فيهم: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧]، فصدق قول الله تعالى في أن هؤلاء الليبراليِّين مِنَ المنافقين بلا أدنى شكٍّ، ولقد ذَكَرَهم الله تعالى ضمن ثلاثة طوائف تعادي الحجاب وتلمِزُهُ، فقال تعالى بعد آية الحجاب في سورة الأحزاب: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) «الإسلام والوعي الحضاري»، ص (٤٣).

• إنَّ المجتمعات التي تسود فيها الأخلاق الليبراليَّة يسود فيها القلق والاضطراب، وتُقطَّعُ فيها أواصر الإنسانيَّة والودِّ والرحمة بينهم، وتكثر فيها الجرائم أنواعًا وأشكالًا، وتنتكِس فيها الفطرة، ويكثر فيها الشرُّ، وتذهب الطمأنينة بعيدًا عنهم، وتفسد العادات والتقاليد والأذواق.

• وأعظم ما يتميَّز به الإسلام هو ثبات الأخلاق، وينقل لنا **د. محمود الصاوي** قول **مصطفى صادق الرَّافعي** رحمه الله: «لو سُئل أكبر فلاسفة الدنيا أن يوجز علاج الإنسانيَّة كله في كلمتين، لما زاد على القول: (**ثبات الأخلاق**)».

ويقول **د. عبد الوهاب المسيري** في بيان خطورة النسبيَّة الأخلاقيَّة: «والنسبيَّة الكاملة تؤدِّي إلى العدميَّة، لأنها تنكر أي مقدرة على إصدار الأحكام الأخلاقيَّة أو المعرفيَّة أو حتى الجماليَّة، ولذا فهي تنتهي بإنكار كل شيء: الأخلاق والميتافيزيا (الغيبيَّات) والكلمات والإنسان، بالنسبيَّة تفقد كل الأشياء معناها، الحياة والدِّين والأخلاق والقِيَم والمعتقدات، وتصبح الحياة كلها دائرة في العبث والفوضى»[1].

❁❁❁

(١) «الفكر الليبرالي تحت المجهر» د. محمود الصاوي، ص (٣٥٥).

وقفة

البرنامج الانتخابي لمرشح الرئاسة (*)

** صفات البرنامج الناجح:

١- أنْ يكونَ هذا البرنامج مرضيًّا لله ﷻ، ولرسوله الكريم ﷺ، ولا يحتوي على بند يتعارض مع الشريعة الإسلاميَّة، وأنْ يكون ساعيًا إلى تطبيق الشريعة.

٢- أنْ يكونَ برنامجًا شاملًا لكل نواحي الحياة: الإسلاميَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والتعليميَّة والثقافيَّة والصحيَّة، وغيرها.

٣- أنْ يكونَ برنامجًا واقعيًّا، يضع أهدافًا محسوبة بدقة، لأنه سيحاسب عليها لو فاز، وسيناقش فيها قبل ذلك أثنا فترة الدعاية له.

٤- أنْ يكونَ البرنامج قائمًا على أسُسٍ علميَّة، والقائم على وضعه أهل تخصُّص وفنٍّ.

٥- أنْ يكونَ زاهدًا في الرئاسة، غير راغب فيها أو حريصًا عليها.

٦- أنْ يتوافق تاريخ الشخصيَّة المرشحة مع البرنامج الانتخابيِّ الذي يقدمه.

٧- أنْ يقدِّر في برنامجه رؤية لمكانة مصر ولواقعها ومستقبلها، (والأفضل أنْ يكون صاحب رؤية لمكانة الأمَّة الإسلاميَّة وعودة دورها الريادي).

(*) كيف تختار رئيس الجمهوريَّة، ص (١١-٣٠)، د. راغب السرجاني- بتصرف.

٨- أنْ يكونَ مِنْ أصحاب القيادة المتميِّزة، وصاحب قدرة على الإقناع والحشد والتجميع (أي يجب أنْ يكونَ إداريًّا ناجحًا)، يستطيع أنْ يسيطر على أجهزة الدولة، وتسيير أعمالها بسهولة بما يُحقق مصلحة المواطنين، وأن يكون لديه القدرة على ابتكار الحلول الاستثنائيَّة للمشكلات الطارئة.

٩- أنْ يكونَ مُحبًّا للشورى، مُلزَمًا بها في برنامجه الانتخابيِّ.

١٠- ويجب أنْ يكون الرئيس رحيمًا بالشعب وأوجاعه وآلامه، لا يقسو عليهم بالضرائب ولا غيرها، وأنْ يكون متواضعًا يرى نفسه واحدًا مِنْ الشعب، ولا يغلق بابه دونهم أو دون حاجتهم.

١١- أنْ يكونَ نزيهًا بعيدًا عن الفساد، شجاعًا جريئًا في الحقِّ، لا يخشى الفاسدين في الداخل، ولا القوى الخارجيَّة في الخارج، بدون تهوُّرٍ.

١٢- أنْ يكونَ مسلمًا ذكرًا.

- ويمكنك التعرف على المرشح وبرنامجه مِنْ خلال:

- الموقع الشخصي للمرشح.
- الحضور للمؤتمرات الانتخابيَّة لذلك المرشح ومنافسيه.
- قراءة آراء المهاجمين له، وكذلك المدافعين عنه.
- التواصل معه عن قُرب وبشكل مباشر لو أمكن ذلك.
- مشاهدة حواراته في البرامج الفضائيَّة، وتقييم آرائه فيها.
- استشارة أهل الخبرة في العمل والقريبين منه إن استطاع، فقد يعرفون عنه ما لا يعرفه العامة.

❁ ❁ ❁